

رُوحوا القلوب

28 (468) جمادى الآخرة 1425 هـ



المزاح وأدابه في الإسلام

مصدر للفعل «مزح» بمعنى: «داعب» أيضاً، كما يُطلق المزاح على وسيلة المداعبة والمباينة (١)، فالمزاح يدور معناه حول المباينة والملاعبة والتلطف ووسائله متنوعة، فقد يكون بابتسام، أو نكتة، أو نادرة، أو فكاهة، أو ملححة أو بإشارة أو حركة يُراد بها المباينة وإدخال السرور على قلب المسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» (٢).

مشروعية المزاح وحكمته

فالمزاح أمر مشروع في الإسلام، يُعد صدقة من الصدقات يُؤجر عليها المسلم، ولكن لذلك شروط وضوابط سيأتي الحديث عنها فيما بعد، والحكمة من مشروعيته أن فيه إدخالاً للسرور على قلب المسلم ويستعان به على التخلص من السأم والملل، وطرد الوحشة، ودفع الهمم والخوف والقلق ونحوه عن قلب المسلم، وفيه تاليف القلوب، فتتشط النفوس وتتهيأ الأجساد لأداء الأعمال الصالحة.

الهدى النبوي في المزاح

وتستمد مشروعية المزاح أولاً من أفعال الرسول

خلق الله الإنسان وجعله خليفته في الأرض لحكمة سامية وهي العبادة، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦، كما أمره بعمارة الكون فقبال عز من قائل: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك: ١٥، وهذا يتطلب منه عملاً جاداً وحركة دؤوباً، قال سبحانه: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة: ١٠٥، ومن طبيعة الإنسان أنه ملول، فلا محالة أنه سيميل هذا الجد والاجتهاد، ويقعد توازنه، لأن القلوب إذا كُلت عميت، ومن ثمّ أباح الإسلام كل ما من شأنه أن يكسر حدة الجد والصرامة في دنيا البشر، ويحقق التوازن المطلوب للإنسان لتستمر الحياة، ولتتحقق الغاية من خلقه، ومن هذه الوسائل المزاح، ترى: فما المزاح؟ وما حكمه وما مشروعيته في الإسلام؟ وأخيراً: ما شروطه وضوابطه الشرعية؟

تعريف المزاح ووسائله

المزاح . يكسر الميم: مصبور للفعل «مازح» بمعنى: داعب في مباينة وتلطف، والمزاح . يضم الميم:

عرف المزاح
عن صحابة
الرسول صلى
الله عليه
وسلم حتى
اشتهر بعضهم
بكثرة قصصه
ودعاياته

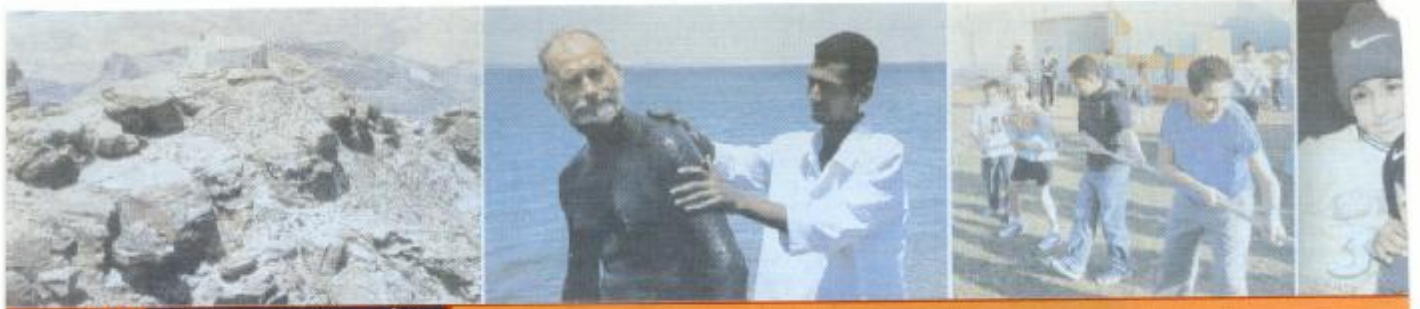
”

بقلم:

د. ماهر عباس جلال

أستاذ بجامعة القاهرة

Email: galalmaher@hotmail.com



يحرم المزاح إذا كان فيه شيء من الاستهزاء بالدين أو بشعائره



المزاح البريء لا ينقص الرجولة

وقال أيضاً: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه» (١٣).
٤ - ألا يلهي عن أداء الفروض والواجبات أو يشغل عن ذكر الله، وإلا كان محرماً شرعاً.

آداب المزاح

وعن آداب المزاح وضوابطه الشرعية
١ - الاقتصاد فيه، إلا في السفر فيستحب الإكثار من المزاح دون معصية، لقول «ربيعة الرأي» وقد عدّ المزاح المشروع في السفر مروءة: «إن المروءة من خصال: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر... والتي في السفر: قبذل الزاد، وحسن الخلق، وكثرة المزاح من غير معصية» (١٩). وكان الصحابة

شروط المزاح

ويقصد سفيان بالسنة هنا طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فالمزاح يكون واجباً أحياناً، إذا استعين به على دفع الملل ومواصلة العبادة وأداء الواجبات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ولنا وقفة مع قوله: «ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه، حيث يشير «سفيان» إلى أن

للمزاح شروطاً ينبغي الالتزام بها، وإلا كان محذوراً منها، ومن هذه الشروط:

- ١ - ألا يقتصر بمعصية أو يؤدي إلى مخالفة شرعية، كالكذب، فقد يلجأ بعض الملاحين إلى المبالغات والكذب، فيدخل على النكتة أو الفادرة زيادات من عنده وصياغات خاصة كأنه يعيد إخراجها، كل ذلك ليعطي لمزاحه نكهة ومذاقاً خاصاً.

فيشتد الناس في الضحك ويتعجبون لمزاحه، وقد توعد الرسول صلى الله عليه وسلم أولئك الصنف من الناس فقال: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له» (١٠)، وقال كذلك: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه، يهوي بها في النار أبعد من الثريا» (١١).

٢ - أن يخلو من الغيبة، لقوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتمون واتقوا الله إن الله تواب رحيم) الحجرات: ١٢.

٣ - ألا يكون فيه استهزاء بالآخرين أو سخرية منهم، فإن ذلك حرام، لقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات: ١١.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المستهزئين بالناس ليفتح لأحدهم باب الجنة، فيقال: هلم، فيجيء بكربه وغمه، فإذا جاء أغلق دونه» (١١).

صلى الله عليه وسلم وأقواله، فعن عبدالله بن الحارث - رضي الله عنه - قال: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢). وروى البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم - داعب صحابياً فقال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير» (٤)، كما روى أبو داود من حديث أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أحملي، فقال: «إنا حاملوك على ولد ناقه»، قال: وما أصنع بولد الناقه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل تلد الإبل إلا النوق» (٥).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى مزاح صحابته، ولم ينكر عليهم ذلك، وربما شاركهم مزاحهم، فقد روى أبو داود عن أسيد من حضير قال: بينما رجل من الأنصار يحدث القوم وكان فيه مزاح بيئاً يضحكهم فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود، فقال: أصبرني! فقال: «اصطبر»، قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله» (٥).

الصحابة والمزاح

وقد عُرف المزاح عن صحابته صلى الله عليه وسلم، وحتى اشتهر بعضهم بكثرة قصصه ودعابته مثل «نعيمة بن عمرو بن زهاعة» الذي قال عنه «ابن عبد البر»: «شهد بدراً، وكان من كبار الصحابة وممن آمنوا في أول ظهور الإسلام، وكانت فيه دعابة زائدة، وله أخبار طريفة في دعابته... وكان نعيمة مضحكاً مزاحاً» (٧).

وكان الصحابة يمتدحون المزاح مع الأهل، ويكشرون منه مع أهلهم دون أن يروا في ذلك ما ينقص المروءة، أو يتنافى مع كمال الرجولة والوقار أو حسن التدبير والالتزام كما يظن بعض المتطوعين في زماننا هذا، فها هو «ابن عمر» - رضي الله عنه يقول: «إنه ليُعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، ثم إذا بُني منه وجد رجلاً. وكان «زيد بن ثابت» من أفكاه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلاً من الرجال» (٨).

السلف يقتفون خطأ الصحابة في المزاح

وقد ترسم السلف الصالح خطأ الصحابة في الاستهزاء بالمزاح، فقد اشتهر الإمام الشعبي بملأه وطرافته، وقيل لسفيان بن عيينة: «المزاح هجنة» قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه» (٨).

نُوحُوا القلوب

30 جمادى الآخرة 1425 هـ - العدد 1425



الكفر والعياذ بالله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أذنب ذنباً وهو يضحك، دخل النار وهو يبكي» (١٨).

التوازن أمر مطلوب في الإسلام

نخلص مما سبق أن المزاح أمر مشروع ومباح في الإسلام إذا كان الغرض منه الاسترواح عن النفس ودفع الملل والسأم والكرب عن النفوس، ويثاب عليه صاحبه إذا ابتغى من وراءه وجه الله.

ويصل إلى مرتبة الواجب إذا كان للاستعانة به على أداء الواجبات، كل ذلك شرط خلوه من أية مخالفات شرعية، وإلا فهو حرام منهي عنه، وعلى المسلم أن يكون مقتصداً فيه فيوازن بين الجِدِّ والمزاح، إذ التوازن أمر مطلوب في الإسلام، وهو ناموس

كوني، قال «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه: «خير هذه الأمة النمط الأوسط: يرجع إليهم الفاني، ويلحق بهم الثالي» (١٩). وبذا تستمر الحياة، وتحقق الغاية من خلق الإنسان، ويؤزر المسلم بالسعادة في الدارين ■

•• الهوامش ••

- ١ - لسان العرب مادة «مزح».
- ٢ - رواه الترمذي، حديث رقم (١٨٧٨).
- ٣ - رواه أحمد، حديث رقم (١٧٠٤٣).
- ٤ - رواه البخاري، حديث رقم (٥٦٦٤).
- ٥ - رواه الترمذي، حديث رقم (١٩٦٤).
- ٦ - رواه أبو داود، حديث رقم (٤٥٤٧).
- ٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ١/١٢٦٧.
- ٨ - شرح السنة للبعوي ١٢/١٨٢.
- ٩ - المرجع السابق ١٢/١٨٥.
- ١٠ - رواه أحمد، حديث رقم (٤٣٣٨).
- ١١ - رواه أبو داود، حديث رقم (٨٨٩٢).
- ١٢ - رواه البيهقي عن الحسن مرسلاً ٥/٢٦٠، حديث رقم (١٧٥٧).
- ١٣ - رواه مسلم، حديث رقم (٤٦٥٠).
- ١٤ - شرح السنة للبعوي ١٢/١٨٤.
- ١٥ - الأذكار للبعوي ص ٤٦٨.
- ١٦ - اجيب طوم العين للقرافي ١٢٩/٣.
- ١٧ - رواه أبو داود، حديث رقم (٤٣٥١).
- ١٨ - السلفية لابي نعيم ٤/٩٦.
- ١٩ - شرح السنة للبعوي ١٢/٣١٨.



اللغو المباح يثاب عليه صاحبه

عليه وسلم . يفعله (١٥). وقد يحلو لبعض المسلمين في هذا العصر أن يكثر من المزاح حتى يسير لديه حرفة ولازمة من لوازم حياته التي يعرف بها، ظاناً بذلك أنه يصنع معروفًا لإخوانه المسلمين، وهذا من الغلط العظيم كما يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «من الغلط العظيم أن يتخذ المزاح حرفة» (١٦). وكثرة المزاح غير المشروع ربما توقع في محذور شرعي، فيجر المرء على نفسه معصية يكسب بها وزراً.

٢ . ومن آدابه كذلك ألا يكون في المزاح ترويع لأحد من المسلمين، لما رواه أبو داود عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقام رجل منهم، فانتطق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يعلى لسلماً أن يروّع مسلماً» (١٧).

ويحرم المزاح إذا كان فيه شيء من الاستهزاء بالدين أو بشعائره، لقوله تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) التوبة: ٦٥، ٦٦، فقد يروق لبعض المسلمين العاقلين أن يطلق نكتة أو نادرة فيها استهزاء ببعض شعائر الإسلام وفرائضه، أو يتمازح وهو في معصية دون أن يعلم أن ذلك جرماً عظيماً قد يؤدي به إلى

تستمد مشروعية المزاح من أفعال الرسول ﷺ وأقواله

ينهون عن الإفراط في المزاح، قال «سعد بن أبي وقاص» لابنه ناصحاً: «اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء». والحكمة من هذا النهي بوضوحها الإمام النووي بقوله: «المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويدوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما إذا سلم المزاح من هذه الأمور فهو من المزاح المباح الذي كان رسول الله صلى الله